

## السيد جمال الدين الأسد آبادى "نموذج ورمز للوحدة بين المسلمين"



السيد جمال الدين الأسد آبادى " نموذج ورمز للوحدة بين المسلمين " و أن شعار الوحدة الإسلامية كان من إبداعات السيد جمال الدين، مما أدى إلى أن تجمعت فئات مختلفة حول هذه الشخصية و تتأثر بأفكاره المؤثرة والعميقة .

ترجع الدعوة إلى الوحدة الإسلامية و نهضة الأمم والدول إلى جهود المصلحين المخلصين من أبنائها منهم " السيد جمال الدين الاسداباي " الذي سعى دائماً إلى توحيد أبناء الأمة الإسلامية، وكانت خطبه تتمحور حول الوحدة الإسلامية والقضاء على شبكات التجسس والمكر الانجليزي وتأمين الحرية والاستقلال الواقعي

وإيقاظ وعيهم بقضاياها ومشكلاتها وأمتهن، وتحريك همتهم نحو الإصلاح والتجدد، والوقوف صفًا واحدًا في وجه أطماع المستعمرين والطامعين.

وفي أواسط القرن التاسع عشر قام رجال مصلحون من أبناء الشرق الإسلامي، دفّوا ناقوس الخطر لأمتهن، وحدّروا ملوكهم وحكامهم من الخطر الوشيك الذي يتربص بالأمة الإسلامية، وتعالت أصواتهم للتوحيد الأمة الإسلامية و التجليل بالإصلاح قبل وقوع الخطر، وكان من بين هؤلاء الرواد: السيد جمال الدين الأسد باي أحد هؤلاء الرواد المصلحين الذين وقفوا حيالهم كلها على الدعوة إلى توحيد العالم الإسلامي، وتحرير شعوبه من الاستعمار والاستغلال.

#### جوانب من السيرة الذاتية للسيد جمال الدين الأسد باي

شهد العالم الإسلامي قبل السيد حركات إصلاحية سلفية في الجزيرة العربية (منذ 1744) وفي الجزائر على يد عبد القادر الجزائري (1832—1847) وفي السودان على شكل حركة المهدية (1881—1898) وفي ليبيا بصورة الحركة السنوسية (1912—1925) وتميزت جميعًا بالمقاومة والرجعة إلى الأصول.

وإذا كانت هذه الحركات قد استطاعت أن تحقق بعض النجاح في مقاومة الاستعمار ومكافحة البدع فإنها فشلت تمامًا في تحقيق «نهضة» شاملة بسبب عدم قدرتها على استيعاب مستجدات العصر، أي إنها كانت تفتقد المعاصرة.

والحملة الفرنسية فشلت أيضًا أن تحقق نهضة في مصر، رغم كل الجهود التي بذلتها، لأنها لم تكن تنتهي إلى جذور الأمة، فأخفقت في التفاعل، واستثارت الناس ضدّها، وعادت من حيث أتت بعد حين.

أما السيد جمال الدين الأسد آباي المعروف بالأفغاني فقد جمع بين الأصالة والمعاصرة في دعوته، وهذا هو سر كل ما حققه من نجاح.

السيد جمال الدين ولد عام 1254 هـ / 1838م، في قرية أسد آباد من مدينة همدان. درس في قزوين وطهران وبروجرد والنجف. سافر إلى البلاد الإسلامية وأوروبا. وفي سنة 1290 هـ / 1873م رحل إلى مصر واستقر في القاهرة، وفي سنة 1296 / 1879م أُبعد السيد جمال الدين عن مصر بسبب موافقه الإحيائية، وتنقل بين

من مظاهر أصالته ارتباطه بالتراث الإسلامي وتمكنه من العلوم الإسلامية مما جعل النابهين من الأزهربيين في مصر يلتفون حوله ويتلقّون دروسه من أمثال: محمد عبده، وعبدالكريم سلمان، وإبراهيم اللقاني، وسعد زغلول، وإبراهيم طلباوي.

ومن مظاهر أصالته أيضاً اهتمامه بوحدة المسلمين بكافة قومياتهم ومذاهبهم: «يدعو إلى نبذ الخصومة بين السنة والشيعة، ليؤلف بين سلطتين قويتين في رقعة العالم الإسلامي إذ ذاك: بين إيران وسلطة القسطنطينية، بعد ذهاب دولة الهند الإسلامية».

وكان يغتنم كل فرصة للدعوة إلى وحدة المسلمين مستشعرًا الخطر من تفرّقهم، ومهيئًا رجال الأمة أن يبذلوا الجهد من أجل تحقيق هذه الوحدة. يقول في مؤتمر دعا له السلطان عبدالحميد في الاستانبول:

«الديانة الإسلامية في الوقت الحاضر هي بمثابة سفينة ربانياً محمد بن عبد الله(ص) وركاب هذه السفينة المقدسة كافة المسلمين خاصتهم وعامتهم».

وفي الوقت الحاضر أشرفت هذه السفينة على الغرق في بحر السياسة العالمية، كما تعرضت لخطر الطوفان. ولعل الحوادث الدبلوماسية، والدسائس الدولية، تؤدي إلى إغراق هذه السفينة وتحطيمها، فما حيلة ركابها وهي مشرفة على الغرق وما هو تدبيرهم؟ فهل يجب على ركاب هذه السفينة أن يبذلوا جهدهم لحراستها وإنقاذها من الطوفان والغرق؟ أم يظلوا مختلفين فيما بينهم، متبعين أغراضهم الشخصية وأهواءهم الدنيئة؟»

ودفعت هذه الدعوة إلى توحيد كلمة المؤتمرين على العمل من أجل الوحدة الإسلامية.

ومن مظاهر أصالته الدفاع عن الدين أمام التيارات الفكرية المنحرفة مثل رده على المذهب الدهري (المادي) الذي انتشر في الهند في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وفيه يقاوم الإلحاد الديني بشكل عام ويوضح صورة الدين للمجتمع الإنساني، ثم يذكر مزايا الإسلام التي تكفل للإنسان متعة في هذه الحياة أرفع بكثير من تلك المتعة التي يهيؤها له اعتناق المذهب الطبيعي(المادي) .

أما طابع المعاصرة فيه فهو أبين وأوضح، أهم معالمه دخوله ساحة الكفاح السياسي لمقارعة الاستبداد الداخلي والاستعمار الأجنبي. لقد ظهرت دعوة السيد في عصر كان العالم الإسلامي يعاني من الحكم المستبد الدين الذين يمهدون باستبدادهم وطغيانهم لسقوط العالم الإسلامي بيد المستعمرين الطامعين.

وفي هذا الجو<sup>٦</sup> ارتفع صوت السيد ليقول للمربيين : وكانت العقلية العامة السائدة هي الاستسلام لهؤلاء الطغاة باعتبارهم أولياء أمور، وباعتبارهم قضاة<sup>٧</sup> مقدر<sup>٨</sup> من السماء، ولذلك سادت حالة الذل والخضوع والملق بين الناس، وعم<sup>٩</sup> الظلم والفساد والطغيان.

«إنكم معاشر المصريين قد نشأتم في الاستعباد، ورببتم في حجر الاستبداد، وتولالت عليكم قرون منذ زمان الملوك الرعاه حتى اليوم، وأنتم تحملون عبء نير الفاتحين، وتعنون لوطأة الغزاة الطالمين، تسموكم حكوماً تهم الحيف والجور، وتنزل بكم الخسف والذل وأنتم صابرون بل راضون، وتستنزف قوام حياءكم ومواد غدائكم التي تجمعت بما يتحلّب من عرق جبا هكم بالعما والمقرعة والسوط، وأنتم معرضون. فلو كان في عروقكم دم فيه كريات حبوبية، وفي رؤوسكم أعصاب تتأثر فتثير النخوة والحمية لما رضيتم بهذا الذل وهذه المسكنة. تناوبتكم أيدي الرعاه ثم اليونان والرومان، والفرس، ثم العرب والأكراد والمماليك، وكلهم يشق جلودكم بمقبض نهمه، وأنتم كالصخرة الملقاة في الفلاة لا حس لكم ولا صوت. انظروا أهرام مصر، وهيكل ممفيس، وآثار طيبة، ومشاهد سيبة، وحصنون دمياط، فهي شاهدة بمنعه آباءكم وعزة أجدادكم.

هـبّوا من غفلتكم...! اصحوا من سكرتكم...! عيشوا كباقي الأمم أحراراً سعداء».

وليقول لكل أبناء العالم العربي والإسلامي وهو في فرنسا :

«أنا تحت سماء الإنصاف على أرض الراحة، بين أهل الحرية أسمع ألحانًا في مجالس العدل، فأذكر أنين قومي في مجالس الظلمة، وتحت سياط الجلادين، فأنوح نوح الثاكلات، وأرى علائم النعمة في معاهد المساواة، فأذكر شقاء سربي في ربوع الظلمة، فأذرف الدمع ممتزجًا بسواد القلب فأكتب إليهم: يا قوم ظلمتم غير معذورين، وصبرتم غير مأجورين، وسعيتم غير مشكورين، فهلكتم غير مأسوف عليكم، تصبرون على الظلم حتى يحسبه الناظر عدلاً، وتبتسمون للقيد حتى يطنه الناقد حليًا، وتخفضون للظالمين جناح الذل حيث يقول من يراكم ما هؤلاء بشر، إنهم إلا آلة سُخّرت للناس، يفلحون بها الأرض ويذرعون. يقلب الجائزون عليكم أنواع المكائد وأصناف الحيل وألوان الخداع فيما يختلسون، كما تقلّب المشعوذة لدى الأطفال أوجه الوداعات في استخراج ما يضمرون.

رأيت فلاحهم (فلاّح الغربيين) في حقله الصغير بتناول الطعام أكلاً مريئاً، وينام القليلة نوماً هنيئاً، ويأوي إلى البيت فيأكل بين عياله ، ثم ينام ملء عينيه، لا يحلم بسوط المأمور ولا يتصور عصا "شيخ العشيرة"، ولا يتذكر حبس المدير، فتخيدّلتكم بين السوافي والأنهار تشغلون ساحة اليوم لتجتمعوا على القصعة السوداء فتلتهموا فتات الشعير، وتتنكبّوا على الترعة فتشربوا الماء الكدر. تعودون إلى الأرض المرية تزرعونها ، والغلّة الوفيرة تحصدونها لتنصرفوا إلى أكواخ تشبه قبوراً توالت عليها السنون، فيجتمع من حولكم صغار لا تعرف أبدانهم الواقع، ونساء تعيّضن الأقدار عن الكسae، ثم يأتيكم المأمور سالباً، والشيخ العشيرة غاضباً، والمدير ناهباً، فأنتم في بلاء مستقر، وعنة مستمر، تحصدون البُرّ ولا تأكلون، وتملكون الأرض ولا تسكنون».

«قد بليتم بما يذيب الشحم ويفري اللحم، وينقي العظم وأنتم صابرون، ومنيتم بما وفر النقم وغيره الذّعم وأهلك الذّعم وأنتم صامتون، ورزقتم بما جلب المصاص، وهتك الحجاب، وأبرز الكعب وأنتم خاسعون، فما الذي تخافون؟

تقولون لا نرضى بهذا الخسف، ولا نقوى على احتمال الذل، فقد صار تاجرنا عاملاً، ونبهنا خاماً، وعالمنا سائلاً، فلم يبق فينا غير الأجير والتابع والشحاذ، والجندى منخفض الجانب، والشرطى منقطع الراتب، بل زارعنا الذى يدفن مع الحبة قوة يمينه، ويستقي الغرس بماء جبينه، نزيل في دار أبيه، وغريب في أرض ذويه، يحصد مما زرع ولكن لسواه، ويختنى مما غرس ولا يذوق جناه.

وكأني بكم عصابة، من أهل الهمة والإصابة، ترفعون الأصوات في طلب الحق المسلوب، وتمدون الأكف للتماس المال المنهوب، و يجعلون الأبدان للوطن سوراً يرد عنه العدو مذعوراً، وأنتم الكلمة المتحدة والقوة المتجمعة هي أقوى من العدد الكبير إلا أنكم تترددون.

فيما حلّيف الصبر وبأنا نضو العنة، نداء مشارك في بلواك، وسامع لنجواك، دع التردد إن أردت النجاح والنجاة، وأقدم، فرب حياة تكون في طلب الموت، ورب موت يجيء من طلب الحياة» .

و ما قالوا في السيد جمال الدين الاسد بادي :

(من كلام الإمام محمد عبده عن السيد) :

ومن مظاهر معاصرته أيضا ارتباطه بالنخب المثقفة في مصر من المثقفين والأدباء والشعراء خلافاً لما كان عليه عامة الأزهريين من انغلاق. فقد كانت له إلى جانب دروسه العلمية المنظمة جلسات مستمرة في

أحد مقاهي القاهرة قرب حدائق الازبكية، يلتف حوله أنماط شتى من الراغبين في التزود من علمه وفكره، وهو يجيب على الأسئلة «لا يسأل من الكلام فيما ينير العقل، أو يظهر العقيدة، أو يذهب بالنفس إلى معالي الأمور أو يستلتف الفكر إلى النظر في الشؤون العامة مما يمس مصلحة البلاد وسكانها، وكان طلبة العلم ينتقلون بما يكتبوه من تلك المعارف إلى بلادهم أيام البطالة، والزائرون يذهبون بما ينالونه إلى إحياءهم، فاستيقظت مشاعر، وتنهيت عقول، وخف حجاب الغفلة في أطراف متعددة من البلاد خصوصاً في القاهرة» .

يقول عمر الدسوقي: «في هذه الحلقة أُنشئت مدرسة غير مقيدة بمنهج أو كتاب، ولكنها كانت روحًا مشعة تبدد دياجير الغفلة، وتحيي العزائم الميتة، وتلهب الإرادات الخامدة وتفتح الأذهان المغلقة، وفيها تخرج محمود سامي البارودي، وعبدالسلام المويحي، وأخوه إبراهيم المويحي، ومحمد عبده، وإبراهيم اللقاني، وسعد زغلول، وعلي مظهر، وسليم نقاش، وأديب إسحق وغيرهم. وفي هذه المدرسة العامة، استعرضت حال الأمة الاجتماعية والسياسية، وحقوقها وواجباتها، وأداؤها ودواؤها، وانتقد الحكماء، وبُثت التعاليم، وفشت روح التذمر من الأجانب وتدخلهم في شؤون البلاد مما كان له أبلغ الأثر فيما بعد.

(عمر الدسوقي، في الأدب الحديث 1/328) :

كان جمال الدين يقضي بياض نهاره في بيته يختلف إليه أعضاء تلاميذه، وما إن يقبل الليل حتى يخرج متوكئاً على عصاه إلى هذا المقهى، فيجد في انتظاره الطبيب والمهندس والأديب والشاعر والمعلم والكيمياوي وغيرهم، ويظل يحدهم بشغف وقوة حتى يمضي جزء كبير من الليل».

و من اقول قائد الثورة الاسلامية الامام الخامنئي :

جوانب من كلمة قائد الثورة الاسلامية الامام الخامنئي إلى المؤتمر العالمي لعلماء الدين والصحوة الإسلامية ( 29 / Apr / 2013 ) :

الأمواج الأولى للصحوة في بلدان هذه المنطقة، والتي اقترنـت ببدايات دخول الغزو الاستعماري، قد انطلقت غالباً على يد علماء الدين والمصلحين الدينيين. لقد خلدت صفحات التاريخ وللأبد أسماء قادة وشخصيات بارزة من أمثال السيد جمال الدين الأسدآبادي.

ومحمد عبده والميرزا الشيرازي والاخوند الخراساني ومحمود الحسن ومحمد علي والشيخ فضل الله النوري وال حاج آقا نور الله وأبي الأعلى المودودي وعشرات من كبار علماء الدين والمجاهدين والمتوفين من إيران ومصر والهند والعراق .

و يبرز في عصرنا الراهن اسم الإمام الخميني العظيم مثل كوكب ساطع على جبين الثورة الإسلامية في إيران .

وكان لمئات العلماء المعروفيين وآلاف العلماء غير المعروفين في الحاضر والماضي دور في المشاريع الإصلاحية الكبيرة والصغيرة على ساحة مختلف البلدان. وقائمة المصلحين الدينيين من غير علماء الدين حسن البناء وإقبال الlahori هي طويلة أيضاً وتشير الإعجاب.

وكانت المرجعية الفكرية لعلماء الدين ورجال الفكر الديني بدرجة وأخرى، وفي كل مكان. إنهم كانوا سندًا روحياً قوياً للجماهير، وحيثما قامت قيامة التحولات الكبرى ظهروا في دور المرشد والهادي، وتقادموا لمواجهة الخطر في مقدمة صفوف الحراك الشعبي، وازداد ارتباط الفكري بينهم وبين الناس ، وازداد معه تأثيرهم في دفع الناس نحو الطريق الصحيح.

وهذا له من الفائدة والبركة لنهضة الصحة الإسلامية بمقدار ما يجرّ على أعداء الأمة والحاقدين على الإسلام والمعارضين لسيادة القيم الإسلامية من انزعاج وامتعاض ما يدفعهم إلى محاولة إلغاء هذه المرجعية الفكرية للمؤسسات الدينية واستحداث أقطاب جديدة عرفوا بالتجربة أنها يمكن المساومة معها بسهولة على حساب المبادئ والقيم الدينية. وهذا ما لا يحدث إطلاقاً مع العلماء الأتقياء ورجال الدين الملتزمين.

و كذلك قال سماحة الإمام الخامنئي:

في خطبة له قبيل صلاة الجمعة في تاريخ 4 فبراير 2011 هكذا يصفه: «السيد جمال الدين الكبير، ذلك الرجل الداعي للإسلام والهمام والمناهض، الكبير، أفضل مكان وجده مناسباً لنهضته، هي مصر، ومن ثم تلامذته محمد عبده والآخرين، هكذا سوابق الحركات الإسلامية في مصر».

و مما قال الإمام الخميني (قدس سره) حول السيد جمال الدين الأسد أبيادي :

وفي عصرنا الحاضر شهد العالم الإسلامي العديد من الاختلافات المدمرة نتيجة لمؤامرات الأجانب وعوامل عديدة أخرى، مما مهد الأرضية لهجوم الغرب واعداء الأمة الإسلامية. حيث شكّلت الاختلافات والتفرقـة تهديداً حقيقياً للعالم الإسلامي ولكل مجتمع من مجتمعاته.

بيد أن ثمة جهود قيمة بذلت خلال القرون الأخيرة على طريق وحدة المسلمين، اضطلع بها مفكرون كبار أمثال السيد جمال الدين الأسد آبادـي ومحمد عبـدـه.

كما نهض رجال كبار في العديد من المجتمعـات الإسلامية على خطـى هذين الرجلـين، رافعين نداء (الوحدة)، وبـادرـوا إلى تأسيـس (دار التقرـيب بين المذاهب الإسلامية)، واستطاعـوا أن يحققـوا إنجازـات قيمة في هذا المجال.

وـ مما قال الفيلسوف الإسلامي الكبير الشهـيد مرتضـى المـطـهـري:

«إن السيد جمال الدين الأسد آبادـي، هو الرائد في الحركة الإصلاحـية خلال القرن المنـصرـم. هو أول من بدأ بـتحـريك المـصـحـوات الإسلامية وكـشفـ بـرؤـية مـوضـوعـية عن هـمـومـ المجتمعـات الإسلامية وقدـمـ الحلـولـ للإـصلاحـ والـقـضـاءـ عـلـيـهاـ ...»

كـانتـ حـركـتهـ ذاتـ طـابـ فـكـريـ وـاجـتمـاعـيـ فيـ آـنـ وـاحـدـ...ـ قدـ حـطـيـ السـيـدـ جـمالـ الدـينـ -ـ بـفـضـلـ حـرـكـتـهـ وـحـيـويـتـهـ -ـ بـمـعـرـفـةـ دـقـيقـةـ لـلـزـمانـ وـالـعـالـمـ الـمـعاـصـرـينـ لـهـ وـبـمـعـضـلـاتـ الـبـلـدانـ الـإـسـلـامـيـةـ الـمـطـلـوـبـةـ عـلـاجـهـاـ عـنـدـهـ.ـ حـسـبـ تـشـخـيـصـهـ يـتـصـدرـ إـسـتـبـدـادـ الدـاخـلـيـ فـيـ الـحـكـمـ وـالـاسـتـعـمـارـ الـخـارـجـيـ قـائـمـةـ أـهـمـ»ـ الـمـشـكـلـاتـ الـمـتـجـذـرـةـ فـيـ الـمـجـتمـعـاتـ الـإـسـلـامـيـةـ فـقـامـ بـالـتـصـدـيـ لـهـمـاـ،ـ وـأـخـيرـاـ بـذـلـ حـيـاتـهـ فـيـ هـذـاـ السـبـيلـ»ـ.

فتح بـابـ الـاجـتـهـادـ :

وـ منـ مـظـاهـرـ مـعاـصـرـتـهـ أـيـضاـ دـعـوـتـهـ إـلـىـ فـتـحـ بـابـ الـاجـتـهـادـ،ـ لـكـيـ تـواـكـبـ الشـرـيـعـةـ الـمـقـدـسـةـ تـطـورـاتـ الـطـرـوفـ بـقـوـلـ:

«ـ ماـ معـنـىـ أـنـ بـابـ الـاجـتـهـادـ مـسـدـودـ؟ـ وـبـأـيـ نـصـ سـُـدـ؟ـ وـمـنـ قـالـ لـمـ يـصـحـ لـمـنـ بـعـدـ يـجـتـهـدـ لـيـتـفـقـهـ فـيـ الدـينـ وـيـهـتـدـيـ بـهـدـيـ الـقـرـآنـ وـصـحـيـحـ الـحـدـيـثـ وـالـاستـنـتـاجـ بـالـقـيـاسـ عـلـىـ مـاـ يـنـطـبـقـ عـلـىـ الـعـلـومـ الـعـصـرـيـةـ وـحـاجـاتـ الـزـمـنـ وـأـحـكـامـ؟ـ إـنـ الـفـحـولـ مـنـ الـأـئـمـةـ اـجـتـهـدـواـ وـأـحـسـنـواـ،ـ وـلـكـنـ لـاـ يـصـحـ أـنـ نـعـتـقـدـ أـنـهـمـ أـحـاطـواـ بـكـلـ أـسـرـارـ الـقـرـآنـ،ـ وـاجـتـهـادـهـمـ فـيـمـاـ حـوـاهـ الـقـرـآنـ لـيـسـ إـلـاـ قـطـرـةـ،ـ وـالـفـضـلـ بـيـدـ إـلـيـؤـتـيـهـ مـنـ يـشـاءـ مـنـ عـبـادـهـ»ـ (ـمـنـ

خاطرات محمد باشا المخزومي).

هذا الجمع بين الأصالة والمعاصرة هو الذي خلق النهضة الحديثة في مصر وانتشرت منها إلى سائر أرجاء العالم العربي، وأثرت على الأدب العربي فطويّرته ودفعت به إلى عصر جديد.

كما كان يقوم مشروع السيد جمال الدين الأسد آبادي على أساس إيقاظ الشعور، وأوضح أعماله في عملية الإيقاظ اهتمامه بالأدب ليخرج به من عصر الانحطاط إلى عصر النهضة الادبية الحديثة، ولি�شارك الأدب في معركة الحياة واستنهاض الشعور. و من اهم اهتمامه "وحدة المسلمين" و الدعوة إلى توحيد صفوف الامة الاسلامية .

مفهوم الوحدة الاسلامية عند السيد جمال الدين الأسد آبادي مكانة متميزة في المستويين الداخلي و الخارجي، في فكرة الاسلام السياسي. يكشف الوضع الحالي للعالم الاسلامي و المؤامرات الشيطانية المتعددة لخلق الخلافات و العداوة بين المسلمين عن هذه الضرورة. كان ينظر السيد جمال الدين اسد آبادي كقائد إسلامي إلى قضية الوحدة الاسلامية كهدف قيم لا كوسيلة سياسية بحتة.

و قد قيل تُوْفِيَ الأسد آبادي سنة ١٨٩٧م وفاةً أُشْريعَ بأنها مدبرة، وأمرت الحكومة العثمانية بضم棺 أوراقه ودفنه بلا مراسم جنازية، ثم زُفِرَ جثمانه عام ١٩٤٤م في موكب إلى أفغانستان، حيث دُفن في «كابل».

اعداد و تدوين  
علي اكبر بامشاد